

هؤلاء هم المهاجرون.. فكفوا عن اضطهادهم

المهاجرين الأوائل المغامرين الذين لفظتهم بلادهم، فـ"حرقوا" في أول سفينة متجهة إلى الغرب المتوحش. كان الإسبان أقدم المجموعات

الأوروبية التي سكنت العالم الجديد، وشهد عام 1566 ميلاد أول طفل من أصل أوروبي هناك، تحديدا في سانت أوغستين، في ولاية فلوريدا. ويشكل المواطنون من أصول أوروبية في الولايات المتحدة اليوم أكثر من 70 بالمئة، ويقدر عددهم بـ275 مليون نسمة. ويعتبر الألمان حسب إحصائية تعود لعام 2009 أكبر مجموعة أميركية من أصول أوروبية تتجاوز نسبتهم 16 بالمئة، يليهم الأيرلنديون، ثم الإنكليز، 11 بالمئة، ثم الإنكليز، 9 بالمئة، والإيطاليون ستة ونصف بالمئة تقريبا، وتشكل هذه المجموعات مجتمعة نسبة 44 بالمئة من مجموع سكان الولايات المتحدة.

الحضارة الأميركية المتسيدة، ما كان لها أن تسود لولا إسهامات المهاجرين، وقوارب الموت هي في حقيقة الأمر قوارب للحياة، يبحر بها شعبان عطشى للنجاح ذاقوا مرارة الحاجة والفاقة

وليس من قبيل الصدف، والحال هكذا، أن يكون جد الرئيس الأميركي الحالي، دونالد ترامب، الذي استبق دخوله البيت الأبيض بشن حملة على المهاجرين، مهاجرا ألمانيا، من ولاية راينلاند بفالز، هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1885، وحصل على الجنسية الأميركية عام 1892. الحضارة الأميركية المتسيدة، ما كان لها أن تسود لولا إسهامات المهاجرين، وقوارب الموت هي في حقيقة الأمر قوارب للحياة، يبحر بها شعبان عطشى للنجاح ذاقوا مرارة الحاجة والفاقة.

كل ما ذكرناه عن هذه الهجرات يعود إلى تاريخ قريب نسبيا، المئات من السنين، بينما ظاهرة الهجرة أقدم من ذلك بكثير، والفضل يعود إلى تلك الهجرات في إنقاذ النوع البشري.

منذ مليوني عام، خرج الإنسان من موطنه الأصلي في أفريقيا، في اتجاه الشمال، عبر القرن الأفريقي متجها صوب الجزيرة العربية، ومنها إلى أوراسيا، مدفوعا بتغيرات جيولوجية كبيرة في ذلك الحين.

وقد وجدت آثار تدل على وصول الأفارقة إلى شرق آسيا، في باكستان، كما وجدت آثار في تل عبيدية قرب بحيرة طبريا في فلسطين، تعود إلى حوالي مليون ونصف المليون عام.

الهجرة الأكبر أثرا، والتي يعود لها الفضل في الحفاظ على النوع البشري، انطلقت أيضا من أفريقيا، قبل حوالي سبعين ألف عام، باتجاه الشمال، حين دخلت الأرض فجأة في حقبة جليدية، جعلت ظروف الحياة قاسية جدا للعيش. وتشير الأدلة إلى حدوث انخفاض حاد في عدد السكان آنذاك، حيث وصل إلى ما يقارب عشرة آلاف فرد فقط.

كنا نحن البشر على شفير الانقراض، وكانت الهجرة طوق نجاةنا.

وقد يكون من قبيل الصدف البحتة، أن أفريقيا مازالت تشكل المعبر الرئيسي للمهاجرين، ففي عام 2017 وصل 150 ألف مهاجر إلى أوروبا عبر المتوسط، انطلاقا من شمال أفريقيا، ورغم تشديد الحكومة الإيطالية اليمينية الشعبوية، وتشديد دول الاتحاد الأوروبي، لم تتوقف قوارب "الحياة" عن عبور المتوسط.

هؤلاء هم المهاجرون.. فكفوا عن اضطهادهم.

علي قاسم
كاتب سوربي
مقيم في تونس

إن نحن تنقلنا في أحياء لندن، شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، من أنفيلد إلى سانت وكرويدن، ومن هافرينغ إلى ريتشموند وهيلندن، ومن قلب العاصمة منطقة ويستمنستر إلى الأحياء المجاورة، كل ما نحتاجه هو قليل من الفضول لنكتشف أن جاليات العالم كلها تجتمع هناك. ومن بين تلك الجنسيات، الإنكليز، الذين حافظوا على وظائفهم الحكومية وأعمالهم في حي المال، واختاروا السكن على أطراف لندن، وفي قرى هادئة في الريف الإنكليزي.

تشكل الأقليات العرقية في عموم بريطانيا اليوم نسبة 14 بالمئة من مجموع السكان، وهي نسبة مرشحة للزيادة لتصل إلى ثلاثين بالمئة بحلول عام 2050. ورغم أن لندن، التي تعتبر إلى جانب باريس من أهم مدن العالم جذبا للسائح، تدين بشهرتها إلى التنوع العرقي، حيث يجد السائح ضالته، لكن لا تزال الأقليات فيها تواجه تفرقة عنصرية "راسخة" في الكثير من مناحي الحياة، حسب تقارير صادرة عن هيئة المساواة وحقوق الإنسان في بريطانيا. وقدمت التقارير، التي اشتملت على مقارنات في مجالات العمل والسكن والرواتب والعدالة الجنائية، صورة "مثيرة للقلق" عن الواقع في بريطانيا.

يشير أحد هذه التقارير إلى أن خريجي الجامعات، من الأقليات العرقية، يكسبون أقل بنحو 23 بالمئة عن نظرائهم من العرق الأبيض. ويذكر التقرير أن البطالة تنتشر بمعدلات أعلى بينهم. الحال في المدن الألمانية لا يختلف عن لندن، حيث أعلن مكتب الإحصاء الاتحادي الألماني يوم الأربعاء أن عدد الأفراد المنحدرين من خلفيات مهاجرة في ألمانيا وصل هذا العام (2019) إلى مستوى قياسي جديد.

ويذكر المكتب أن عدد هذه الفئة تجاوز 20 مليون نسمة، أي أكثر من ربع عدد السكان بقليل. وذكر المكتب أن 52 بالمئة من هؤلاء يحملون الجنسية الألمانية، بينما يشكل الأجانب نسبة 48 بالمئة منهم. والشخص المنحدر من خلفيات مهاجرة هو من كان نفسه أو أحد والديه على الأقل لا يحمل الجنسية الألمانية.

جميعنا تابع الأزمة التي واجهتها المستشارية الألمانية أنجيلا ميركل، بسبب ما وصفه خصومها بالتساهل مع المهاجرين، وقاومت أنجيلا كل الضغوط لأنها تعلم يقينا الدور الإيجابي الذي لعبه المهاجرون في النهوض بالاقتصاد الألماني، خاصة وأن المجتمع الألماني يواجه مخاطر الشيوخة.

لا يمكن الحديث عن بريطانيا وعن ألمانيا دون المرور على دول الاتحاد الأوروبي الأخرى، خاصة باريس، التي ساهمت بشكل كبير في الحياة الفنية والثقافية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وفتحت الأبواب وشرعت النوافذ لاستقبال المهاجرين.. فدونهم، مدينة الأنوار، كانت ستتحول إلى عتمة مطبقة.

الدور الذي لعبه المهاجرون في عصر النهضة الإيطالية لا يمكن إغفاله أيضا، وكون البندقية (فينيسيا)، الميناء التجاري، مركزا لنقل النهضة أمر له دلالة. بطول الحديث، إن نحن تطرقنا إلى حضارات عديدة ما كان لها أن تلعب الدور المميز الذي لعبته لولا قبولها للمهاجرين.. هل كان للحضارة الإسلامية أن تزدهر لولا احتفائها بمهاجرين مهرة في الفنون والعلوم والآداب.

وأميركا، التي يشن رئيسها الحالي حربا على الهجرة والمهاجرين، هي خليط من وقت لاحق.



روسيا تفرض شروطها على تركيا في إدلب

الشام سيطرتها على كامل المنطقة، بعد معارك جانبية مع فصائل إسلامية معتدلة، إذ ارتأت تلك الفصائل، ومعها تركيا، أن تفتح معركة استنزاف مع هيئة صالح النظام ويمكنه من الهجوم على المنطقة؛ فيما تحتفظ تركيا بفيلق الشام ذي التعداد الأكبر بعد حل فصائل كبرى، وعلى رأسها فصائل الزنكي في ريف حلب الغربي، إضافة إلى فصائل غصن الزيتون ودرع الفرات، من أجل معركة تركيا الأهم ضد وحدات الحماية الكردية شرق الفرات.

وجرى تضخيم سيطرة هيئة تحرير الشام على 90 بالمئة من مناطق المعارضة في إدلب، وهو ما استفادت منه موسكو إعلاميا في محاججتها لأنقرة، التي لم تترجم بيطرد المتطرفين من المنطقة العازلة، حيث اثبتت المعارك على الأرض أن مشاركة الهيئة في الدفاع عن مناطق المعارضة تكاد لا تذكر.

وبالتالي كان تطبيق الاتفاقات بين روسيا وتركيا هو ورقة مفاوضة بيد أنقرة، ويبدو أنها استفادت منها، بعد التوصل إلى اتفاق مبدئي مع واشنطن بخصوص المنطقة العازلة شرق الفرات، وتجنب الهجوم البري الذي كانت تعد له تركيا على الحدود مع سوريا. وترتيب وضع شرق الفرات، على يد الولايات المتحدة وتركيا، سيعني قطع الطريق على روسيا والنظام، وضياع فرصة استعادة تلك المناطق الغنية بالثروات؛ بل يعني أكثر من ذلك، أن على روسيا السعي الجدي إلى حل سياسي، وهي تفضل ألا يكون فيه للمعارضة دور، دون أن يمر من تحت عباءتها.

أردوغان سيزور بوتين في موسكو الثلاثاء القادم، وقام باتصالات مع ترامب، وسيلتقي في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك الشهر المقبل، وهناك جولة جديدة لاستانة في أنقرة في 11 سبتمبر، كل هذه التحركات قد تتوصل فيها تركيا إلى اتفاق جديد، لإيقاف الهجوم في إدلب، وتحقيق بعض شروط روسيا.

وإذا كان الاتفاق الجديد سيضمن فتح طريق حلب اللادقية، فهذا يعني حصر المتشددين والفصائل المعارضة وكذلك السكان الأصليين في إدلب وريف حماة والمهجرين من مناطق أخرى في جيب صغير، وتاجيل مسالة حسمة إلى وقت لاحق.

حصول كارثة إنسانية في إدلب، وتزوج ثلاثة ملايين شخص يقطنون محافظة إدلب وشمال حماة وشمال شرق اللاذقية وغرب حلب. بل استغل الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، ورقة اللاجئين السوريين، لتهديد المجتمع الدولي وحثه على مساندة تركيا لمنع حصول تقدم روسي في المنطقة. وسبق أن استفاد من الخطوط الحمر التي وضعتها واشنطن منذ عام، لمنع الهجوم الروسي على إدلب، والتي على إثرها تم التوصل إلى اتفاق المنطقة العازلة في إدلب في 17 سبتمبر العام الماضي.

تمكنت روسيا من تجاوز الخطوط الحمر الأميركية، بعد أن تم فتح مسار أمني جديد في القدس، مع واشنطن وتل أبيب، ما سمح لها باستغلال الصمت الأميركي وشن الهجوم الأخير على إدلب.

اتفاق المنطقة العازلة في إدلب، الذي باركه الأوروبيون أيضا بقمّة إسطنبول الرباعية، في شهر أكتوبر العام الماضي، بين تركيا وروسيا وفرنسا وألمانيا، لم يتم تنفيذ أي من بنوده، لا من قبل الروس والنظام، ولا من قبل تركيا، هذا فضلا عن اختلاف في تفسير هذه البنود، خاصة في ما يتعلق بالتنظيمات الإرهابية، الأجنبية منها، أو هيئة تحرير الشام، التي تتكون غالبية عناصرها من السوريين.

فغير فتح الطرق الدولية، هناك الالتزام بفرض منطقة عازلة بعمق 15-20 كيلومترا، وتسيير دوريات مشتركة على أطرافها، وأن تكون خالية من المتشددين، وخالية من السلاح، وفتح الطرق الدولية قبل نهاية العام الماضي، مع بقاء الخلاف حول الجهات التي ستشرف على هذه الطرق؛ فيما نفذت تركيا فقط البند المتعلق بإقامة نقاط المراقبة الـ12، ومنها النقطة التاسعة في مورك، المحاصرة الآن من قوات النظام.

أما ما يتعلق ببند خلو المنطقة العازلة من التنظيمات المتشعبة، فما حصل حينها هو العكس، إذ أعلنت هيئة تحرير

رائيا مصطفى

تحتفل روسيا، عبر وسائل إعلامها، بسيطرتها على خان شيخون، المدينة الاستراتيجية الهامة الواقعة على الاتوستراد الدولي دمشق-حلب، بعد قرابة خمسة أشهر من الاستنزاف الدامي، والقصف الجوي الروسي، ومحاولات الزحف البري من قوات النظام، والميليشيات المساندة لها، والاستعانة بميليشيات تابعة لإيران وبمرتزة روس.

ومنذ يومين تدخل قوات النظام السوري، دون قتال، إلى بلدات ريف حماة الشمالي، خاصة مورك وكفرزيتا، وذلك بعد مضي ثلاثة أيام على انسحاب الفصائل المعارضة منها بطريقة غريبة، ما يعني أنه تم تسليمها، دون معرفة تفاصيل هذا الانسحاب المفاجئ.

لا يبدو أن هناك اتفاقا واضحا، أو ضمنا، تم مؤخرا بين أنقرة وموسكو، بشأن صفقة لتسليم المنطقة الواقعة بالقرب من الطريق الدولي أم-5، خاصة أن لتركيا نقطة مراقبة في بلدة مورك، ولم تقم بإزالتها، وهي محاصرة الآن؛ بل ما حصل هو العكس، إذ سمحت تركيا مؤخرا لفصائل الجيش الوطني وفصائل في الشمال بالمشاركة في الدفاع عن المنطقة، ودون تقديم المزيد من السلاح، في محاولة تبدو متأخرة لمنع تراجع المعارضة عن مناطق نفوذها، خاصة في ريف حماة الشمالي.

بكل الأحوال، السيطرة على مورك وكفرزيتا، وبقليها خان شيخون، وكلها تقع، أو قريبة، من طريق دمشق-حلب الدولي، إضافة إلى القصف الجاري الآن على معرة النعمان، التي تقع على نفس الطريق، ومحاولات التقدم، التي لا تزال فاشلة، على محور الكبنة في ريف اللاذقية الشمالي، كل ذلك يعني أن روسيا تقوم بتطبيق بند اتفاق سوتشي حول إدلب الذي وقعت عليه تركيا، والمتعلق بفتح الطريقين الدوليين.

قبل سوتشي، تركيا شاركت في مؤتمر استانة 4، في مايو 2017، الذي جرى خلاله رسم حدود مناطق خفض التصعيد الأربع، وعلى إثره انسحبت هيئة تحرير الشام من مناطق شرق السكة في إدلب، وتم تسليمها إلى روسيا والنظام، كخطوة أولى لفتح الطريق.

كل ذلك يعني أن تركيا موافقة منذ أكثر من سنتين على تسليم المناطق الأخيرة حول الطريق الدولي لروسيا لكنها كانت تماطل، وتقدم وعودا للفصائل بتقديم الدعم للصمود، وبالفعل قدمته في فترات محددة، واستفادت عدة مرات من التقاء مصالحها مع إرادة المجتمع الدولي، خاصة الأوروبيين، بمنع

